من اختبارات الذكاء السياسى :

من هو آية الله القذافى ؟

أنيس منصور

إذا كنت تحب الوضوح فالرئيس القذافى يعجبك . فهو يستخدم الدم فى الكتابة على الجدران . ثم يطلق النار على الجدران . لعلك ترى ما كتب . أما الهدف فهم الأبرياء من شعبه والشعوب الأخرى .

ولم يخرج الرئيس القذافى عن هذه القاعدة منذ ولى الحكم سنة ١٩٦٩ . وحين خدعوه بأنه صورة من شباب الرئيس جمال عبد الناصر . وكان معنى هذه « النبوءة » أنه لو عاد الزعيم المصرى إلى شبابه ما فعل غير الذى فعله الرئيس القذافى . وهذا ظلم للزعيم المصرى وتزييف للزعيم الليبى . وذهب عبد الناصر وبقيت صورته المشوهة فى ليبيا .

فمن هو الرئيس القذافى ؟ . .

إنه فتى الصحراء البدوى الشجاع المؤمن الحر المتفانى فى نصرة الحق والعدل — ليست هذه عبارتى . ولكنى قرأتها . .

أما أن القذافى عربى فهذا صحيح . ولكن لم تعد تربطه بالحياة العربية أو البدوية أية صلة . فعندما أقام الخيام فى الصحراء له ولوالديه . كانت الخيام مكيفة الهواء مزودة بالتليفزيون الملون ومحطات الرادار وأكداس المال يلق به على أنصاره وأقاربه . وأما أنه شجاع فلم تجربه المواقف السياسية . فقد احتمى وراء قوات بدوية كبيرة . وبعد ذلك قوات كوبية وألمانية شرقية وسوفيتية . لتكون الحزام الواقى له من الشعب الليبى . أما أنه رجل مؤمن . فلا يتفق على ذلك كثيرون . إنما هو مؤمن بدين خاص وإسلام خاص يتنافى مع مبادىء الإسلام المعروفة . .

فهل هو مسلم حقا ؟ لقد جاءنا القذافى فى مصر واستغل أدب المصريين وصبرهم الطويل وتهجم على القرآن الذى لايحفظه . وراح يشرح الآيات الكريمة . ورجال الدين جالسون أمامه قد نكسوا رءوسهم أحياناً وهزوها أحيانا أخرى كأنهم ينفضون ماعلق بآذانهم وعقولهم من سخافات . وسكتوا . فقد شكك فى الآيات القرآنية وفى الأحاديث النبوية . بل إنه رفض كل الأحاديث . واستكثر أن يجادله أحد . .

والذى أعلنه بمصر فى حياء . عاد إليه فى جرأة عندما حشد الناس حوله فى طرابلس . هو يشرح وهم يقولون : آمين . . آمين فى الدين وفى السياسة وفى الدم وفى النار وفى القتل وفى تجريد الناس من أموالهم وأمنهم . .

ربما قيل إنه مسلم حقا لأنه ساعد المسلمين فى جزيرة مندناو ضد الحكومة الكاثوليكية فى الفلبين . وقد سألنى الرئيس الفلبينى ماركوس فى مكتبه : هل ترى أن القذافى رجل عاقل ؟ ماالذى يستفيده أدبيا أوسياسيا أو ماديا لكى يبعث للمسلمين بقنابل وأسلحة ضد الحكومة المركزية ؟ وإذا فعل ذلك مرة فهل يستطيع أن يساندهم فى كل مرة ؟ . .

غير أن القذافى ساعد المسيحيين فى أثيوبيا ضد مسلمى الصومال والسودان ! . . .

وعندما اعتدى الاتحاد السوفيتى على أفغانستان المسلمة . وقف مع الاتحاد السوفيتى الملحد ! . .

وعندما تمردت قوات البوليساريو المسلمة ضد حكومة المغرب المسلمة وقف مع المتمردين ! . .

ثم هو الآن يقف مع إيران الفارسية المسلمة الشيعية ضد العراق المسلم الشيعى أيضا . . ثم هو يقف مع سوريا السنية ضد العراق الشيعى . كما أنه قد شجع المتطرفين من الجماعات الإسلامية فى مصر الإسلامية ضد المسلمين أيضا . .

كما أنه اعتدى بقوات تونسية مرتزقة ضد تونس . .

وعلى ذلك كله يمكن أن يقال إن القذافى يقف مع المسلمين فى أى مكان من العالم . سواء كانوا ظالمين أو مظلومين . .

ولكن القذافى وقف مع الجيش الجمهورى فى إيرلندا — أى مع المسيحيين ضد المسيحيين . .

ثم ساند الجيش الأحمر فى اليابان . .

وهو قد ادعى أنه حامى الثورة الفلسطينية . وأنه سوف يتولى مساعدة قوات التحرير الفلسطينية مهما كانت أسماؤها وانجاهاتها . ولم يدفع لهذه القوات قرشا واحدا . ويوم تجرأت بعض هذه المنظمات على أن تفرض رأيها حبس أفرادها . حتى يبايعوه زعيما لهم مدى الحياة — ولم يفعلوا . .

هل القذافى أمريكانى ؟ . .

إن القذافى قد أعطى للسوفيت كل ما طلبوه ولم يجدوه فى مصر . أعطاهم قواعد عسكرية . وأعطاهم نصف شواطىء البحر الأبيض الجنوبية . وأشترى منهم بتسعة آلاف

هل هو أمريكاني ؟

هل هو سوفييتي ؟

هل هو ملحد ؟

هل هو مسلم ؟

مليون دولار أسلحة متطورة . الأسلحة مكدسة .. ولكن لايوجد بين الليبيين من يقدر على استخدامها أو استيعابها . لكي يستخدمها ضد مصر أولا . ثم ضد العالم كله بعد ذلك ..

ونقل إليه السوفييت الكوبيين والألمان الشرقيين لتدريب قواته وتجنيده من شعبه . وأصبحت ليبيا هي القاعدة الكبرى للسوفييت ينقلون منها قواتهم إلى أثيوبيا واليمن الجنوبية وإلى أواسط أفريقيا ..

فهل هو سوفييتي ؟ . .

إن الأمريكان في ليبيا هم الذين يتولون إنتاج البترول ويحصلون على ٤٠٪ منه .. وعندما أمم القذافي الشركات البترولية لم تمس الشركات الأمريكية . فليبيا هي الدولة الثالثة في قائمة كبار مصدري البترول إلى أمريكا بعد السعودية ونيجيريا . أما ألمانيا الغربية وإيطاليا فتحصلان على كمية تماثل الكمية الأمريكية من البترول .. ولكن أسبانيا تحصل على ٨٠٪ من الغاز السائل من ليبيا ..

ولاتحصل السوفييت إلا على كمية ضئيلة من البترول ولكنها متزايدة ..

ويوم فزع القذافي من التحركات المصرية على الحدود . شكا مصر إلى الرئيس الأمريكي كارتر .. واتصل الرئيس كارتر بالرئيس السادات ينقل إليه مخاوف القذافي .. وأصبح واضحا لدى الرئيس السادات أن أمريكا قد قبلت الوساطة . وفي نفس الوقت أنها سوف تحمي القذافي عند الضرورة . وبومها أكد الرئيس السادات أنه لايبيت شيئا للقذافي . وأن أمريكا تستطيع أن تتأكد بأقمارها الصناعية من حجم التحركات المصرية

أما المعنى الذي أراده الرئيس كارتر فهو : أن ليبيا بتحركات مصر إلى أمريكا . وطلبت تدخلها . وقبلت . أمريكا ذلك . فليكن هذا معلوما لمصر !

ولكن القذافي يهاجم أمريكا . رغم ذلك ويعنف ..

وكان قبل ذلك يهاجم السوفييت ويتهمهم بالكفر . فاتهم ليتين بأنه صهيوني يهودي . واتهم برجنيف بأنه صهيوني يهودي . وأنه لافرق بين الشيوعية والصهيونية وأن الجميع كفرة ! . .

ويوم احترق رواد الفضاء السوفييت على الأرض . أبرق القذافي للقيادة السوفييتية يقول : لكي تعرفوا أن الله حق . فبادروا إلى الإسلام وإلا أحرقكم الله جميعا ! . .

واتهم الأمريكان بأنهم أيضا صهاينة . وأن التعامل معهم إخاد .

ولاتزال العلاقة بين أمريكا وليبيا شهر عسل دائما . فقد اشترت أمريكا هذا العام بترولا ليبيا بثمانية آلاف مليون دولار ..

ولاتزال أمريكا تعاون الاتحاد السوفييتي على حل أزماته بالأموال الليبية . ثمنا للأسلحة المتطورة ! . .

وقد حاولت ليبيا شراء الأسلحة الأمريكية عندما استخدمت بيلي كارتر . شقيق الرئيس الأمريكي . .

وليس الرئيس السادات أول من وصف الرئيس القذافي بأنه مجنون . إنما الرئيس برجنيف هو الذي قال ذلك سرا . أما الرئيس السادات فقد اكتشف جنون القذافي قبل ذلك . ثم إنه جاهر بهذا الرأي .

فهل القذافي مسلم؟ هل هو ملحد ؟ . .

إن الإسلام الذي يتحدث عنه القذافي مختلف عن ديننا . لأن القذافي يقترح تعديلات على الآيات القرآنية – أستغفر الله .

وسوف يطرح في الأسواق نسخة « منقحة » أو « مصححة » أو « مطهرة » للقرآن الكريم . وعلى سبيل المثال يقول الرئيس القذافي في « رسالة إلى المؤمنين في كل مكان » : إن لدينا سُوراً يطلب فيها جبريل عليه السلام إلى نبينا عليه الصلاة والسلام أن يتلوها وراءه . ولكن الذين نسخوا القرآن – أي كتبوه – لم يفهموا هذا المعنى .. فمثلا عندما يقول جبريل عليه السلام للرسول : قل هو الله أحد . الله الصمد . لايصح أن تكون كلمة « قل » ضمن الآية القرآنية . إنما الآية تبدأ هكذا : هو الله أحد . الله الصمد .. .. إلى آخر هذه التحريفات اليهودية لكتاب الله .

ثم إن الرئيس القذافي يشكك في جميع الأحاديث النبوية . ولايستثني منها سوى ٢٣ حديثا صحيحا .

وأخطر من ذلك اعتقاده بأنه كما أن الأديان جميعا قد ظهرت في الصحراء : اليهودية والمسيحية والإسلام . فلن يتم بقاؤها وإصلاحها إلا بأناس من الصحراء .. وليسوا من السعودية .. ولكنهم من ليبيا . وليسوا كل الليبيين . إنما نبي واحد . هو الرئيس القذافي .

وعندما تحدثت إليه الصحفية الشهيرة أوريانا فلانشي : إن كان صحيحا أنك نبي . كان جوابه : كل إنسان نبي يدعو إلى الحق .

ولماعادت تسأله : ان كنت نبيا صاحب رسالة مثل موسى وعيسى ومحمد ؟

عكاظ
جريدة سعودية يومية
لقـــوات السوفيتيـــة تضرب الثوار
ضد القـــذافى فى قاعـــدة طبرق

الصفحة الأولى من الجريدة السعودية « عكاظ » بتاريخ ٣٠ أكتوبر ٨٠

الأمير فواز بن عبد العزيز .. سمعت منه ماأضحكنى !

كان جوابه : إننا جميعا بشر . والله يهدى من يشاء من عباده

وهو بهذا الرأى يقترب من الشيعة ويقترب من البهائيين أيضا . فاقترابه من الشيعة لأنه يرى أن رسالة النبى عليه السلام مستمرة ، وأنه ليس من الضرورى أن يظهر نبى ، إنما واحد من بيت النبى عليه السلام .. يهدى الناس إلى الحق . والشيعة ينسبون إلى الرسول حديثا معناه : أنه إذا لم يبق فى الزمن سوى يوم واحد ، فسوف يبعث الله واحدا من أهل البيت يملأ الدنيا عدلا بعد أن امتلأت ظلما ! .. ورأى الرئيس القذافى أنه هو ذلك المهدى المنتظر ..

وهو يقترب من البهائيين الذين يوفقون بين كل الأديان ، ويكون « التوفيق » نوعا من « التلفيق » .. فالبهائيون يفسرون أن الرسول عليه الصلاة والسلام « خاتم » المرسلين أو خاتم النبيين بأن كلمة « خاتم » ليس معناها « خاتمة » النبيين أى آخرهم . ولكنه مثل الخاتم فى إصبع النبوة .. أى أن محمدا عليه الصلاة والسلام هو زينة النبيين . تماما كما تزدان الأصبع بالخاتم الجميل .. والرئيس القذافى يوافقهم على هذا التزوير للإسلام

ومن الغريب أن الرئيس القذافى عند نشر اجتهاداته فى الإسلام والشريعة الإسلامية كلف ناشرا أمريكيا بذلك . الناشر الأمريكى اسمه : شموئيل كوهين — أى يهودى . ومن الممكن أن يقال إن هذا الناشر اليهودى هو الذى سطا على هذه الدراسات ونشرها خلسة هو . ولكن « الكتاب الأخضر » للرئيس القذافى والذى نشره هذا الأمريكى اليهودى باع فى مكتبات طرابلس باللغة الإنجليزية ! ..

ذهب الملك خالد عاهل السعودية إلى القذافى !!

والرئيس القذافى لم يخرج فقط على تعاليم الدين الإسلامى ، ولكنه خارج عن التعاليم الدستورية المعروفة فى العالم كله . وهذا طبيعى . فإذا كان يتهجم على كتاب الله وأحاديث رسوله ومااتفق عليه الأئمة من ١٤ قرنا ، فإن مايقوله فقهاء الدساتير ليس إلا شيئا هينا . ولذلك أعلن الرئيس القذافى أنه لايصح أن تكون هناك « حكومة » : أى مجموعة من القواعد الجامدة يجلس عليها أناس جامدون يتحكمون فى رقاب الناس .. ولذلك أطلق الناس على الناس وارتفع بمستوى الشوارع إلى مقاعد الحكم . وطلب من الجماهير أن تحكم نفسها بنفسها

كما انه ضد مايسمى فى العالم الغربى بالدبلوماسية . لأن الدبلوماسية هى حكومة داخل الحكومة . ولذلك طرد الدبلوماسيين من كل موقع وطلب إلى اتحادات الطلبة فى الخارج أن يديروا السفارات وأن يكونوا على صلة بالحكومات الأخرى ..

وكذلك الجامعات فليس من الضرورى أن يكون عميد الكلية أستاذا . إنما يستطيع طالب شاب أن يدير الكلية والجامعة أيضا . وكذلك النقابات المهنية ليس ضروريا أن يكون نقيب الأطباء طبيبا . بل إن أى تخورجى أحق بذلك .. ولانقابة المعلمين رأسها معلم إنما أحد السعاة فى أية مدرسة . فالعبرة ليست بالمؤهل العلمى ، ولكن بالمؤهل الوطنى فقد يكون الطبيب ماجورا . ويكون التخورجى مجاهدا ، ويكون العميد خائنا . بينما أكثر الطلبة فدائيا أشدهم ولاء للرئيس القذافى ..

فهل القذافى فوضوى ؟ . .

إنه كذلك إلا قليلا . فلايزال هو على رأس الدولة . كما أن هناك وزارات ومصالح وبنوكا وقوات مسلحة تتدرب على علوم الحرب الحديثة . . ولايزال هناك مضخات تدفع البترول وعقول الكترونية تضرب وتطرح . .

ولو أخلص الشعب الليبى لمعالم القذافى لأسقطوه . لأنه إذا لم تكن هناك حكومة . ولاجهاز إدارى فلماذا يكون للجهاز رأس . ويكون هذا الرأس هو القذافى دائما ! . .

ولم يكن تهجم الرئيس القذافى على المملكة السعودية . لأسباب دينية فقط . إنما لأسباب سياسية أيضا . فهو ضد النظام الملكى وضد النظام الجمهورى . وضد النظام فالهجوم على السعودية ليس هجوما خاصا . إنما هو جزء من الهجوم العام على كل دولة إسلامية . وكما أن السعودية حليفة لأمريكا . فهو أيضا حليف لأمريكا . وهو يعيب على السعودية أنها طلبت من الأمريكان حمايتها . ولايعيب على نفسه أنه طلب إلى السوفييت أن يقيموا فى ليبيا هم وحلفاؤهم الكوبيون والألمان الشرقيون والأحباش والجنوب . ويعيب على السعودية أنها تستخدم الطائرات التى تحوم فوق مكة وعرفات . ولم يقل أحد للقذافى إن هذه الطائرات ترش الميدات الحشرية لسلامة المسلمين ! وحتى لو كانت هذه الطائرات يستخدمها السعوديون من أجل الأمن القومى . فمن الذى لايفعل ذلك ؟ . .

ولكن الغريب حقا هو أن الرئيس القذافى قد هاجم السعودية منذ وقت طويل : ملكا وواليا للعهد وأمراء وشعبا . ومع ذلك فقد ذهب الملك خالد عاهل السعودية إلى طرابلس . . إلى القذافى . . صافحه وعانقه واسترشد برأيه واهتدى به . . وهو يعلم أنه عدو له ولدينه ولربه . فليس القذافى كافرا أخيرا كما أعلنت المنابر والميكروفونات والصحف السعودية . . إنما كان كذلك قبل زيارة الملك خالد وسوف يبقى بعدها .

ولدى السعوديين قصص ونوادر كثيرة عن الرئيس القذافى عندما ذهب إليهم معتمرا دون أن يبلغهم بذلك . فقد فوجئوا بفخامة الرئيس القذافى وقد نزل من الطائرة بالقميص والبنطلون والشبشب . بينما اصطف الأمراء لتحيته فاستكثر منهم ذلك الاحترام لفخامته . .

وقد سمحت من الأمير فواز أمير مكة سابقا . ماأضحكنا على مفارقات الرئيس القذافى وأسرته وأعوانه أثناء الطواف والسعى . وبعد ذلك .

وقد حدث عندما كان الرئيس السادات والرئيس القذافى فى طريقهما إلى باكستان أن توقفا فى جدة لأداء العمرة . وكان ذلك عند منتصف الليل . وفجأة التفت الرئيس السادات إلى الرئيس القذافى يقول له : يامعمر . . لاتتأخر . . سوف نلتقى بعد ساعة . الناس هنا شديدو الحماسة وهم جميعا مهذبون وفى غاية الأدب . فلاتخرجنى معهم . بعد ساعة نلتقى .

وكان رد الرئيس القذافى : حاضر ياسيادة الرئيس . .

وعاد الرئيس السادات يقول له : ساعة فقط يامعمر ! . .

وقبل الموعد المحدد كان الرئيس السادات قد ارتدى ملابس الإحرام . ونظر فى ساعته وانتظر . . خمس دقائق . . عشرين دقيقة ولم يحضر الرئيس القذافى فبعث من يستعجله . فوجدوا الرئيس القذافى يتناول بعض الفاكهة . . ونبهوه إلى أن الرئيس السادات والأمير فواز فى انتظاره . وأسرع القذافى إلى الحمام وارتدى ملابسه .

ولم يوجه إليه الرئيس السادات كلمة واحدة فى الطريق من جدة إلى مكة . . وأحس الأمير فواز بحرج رهيب . والتزم هو الآخر الصمت .

وفى داخل الكعبة حدث شئ عجيب ! فعندما كان الرئيس السادات يتعلق بجدران الكعبة فوجىء بيد قد أمسكت يده بشدة وبالقذافى يقول له : نعاهد الله جميعا على نصرة الإسلام والمسلمين . . إلخ . .

فما الذى فعله هو ويفعله بالإسلام والمسلمين ؟ . .

وفى طريق العودة من مكة إلى المدينة حدث شىء غريب . قال لى الأمير فواز . كانت الساعة الواحدة صباحا . وكان الركب يضم عشرين سيارة . وفجأة كان لابد أن نتوقف . وأن ننزل من سيارتنا لنحاول الاتصال بالسيارات الأخرى المزودة باللاسلكى . لماذا ؟ لأن الرئيس القذافى عطشان ويريد زجاجة « كوكا » . . فتوقفنا فورا فى منطقة ليس بها بيت واحد ولادكان . . وقد ظهر الضيق الشديد على الرئيس السادات ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة ! . .

وفى تلك الليلة سمع السعوديون المكلفون بخدمة الزعيم الليبى وحمايته أنه يلعن الملك والأمراء والمذهب الوهابى الذى يتبعه السعوديون . ويتمنى الخراب والدمار لهذه الأرض ومن وما عليها ؟ وتعمد الرئيس القذافى أن يجاهر بذلك فى مواجهة هؤلاء السعوديين الذين أحنوا رءوسهم فى حياء وخجل !

ثم نقلوا ماسمعوه إلى الحكومة السعودية ! . .

فهل هو شخص مجنون ؟ . .

اختلف الأطباء فى تشخيصه . بعضهم قال إن الذى أصاب القذافى هو مايصيب مرضى الزهرى عادة . فإما أنه قد أصيب به أو قد ورثه . وقد لاحظوا ان سلوك القذافى متطرف متقلب حتى يبدو كأنه أكثر من شخص . فقد كان القذافى يغلق الباب بالمفتاح على الوزراء أياما . ثم يعود إليهم يسلمهم ويعتذر لهم ويغرقهم بالمال . .

وأثناء حرب الاستنزاف تلقى الرئيس جمال عبد الناصر برقية عاجلة من الرئيس القذافى يطلب فيها طبيا للأمراض التناسلية لعلاجه ؟ ! . .

وفى الوقت الذى انفتحت فيه الميكروفونات الليبية والصحف اللبنانية المأجورة ضد مصر وضربتها التأديبية لليبيا فى يوليو سنة ١٩٧٧ جاءت برقية عاجلة إلى الرئيس السادات من الرئيس القذافى يطلب طبيا لعلاج أحد أطفاله . وكان الرئيس القذافى على يقين من أننا سوف نلبى هذا النداء الإنسانى . وتوقف الهجوم على مصر أثناء علاج طفله . ولم تكد الطائرة المصرية تدرج مطار طرابلس حتى عاد الهجوم على مصر قيادة وشعبا وقوات مسلحة « غازية معتدية على التراب الليبى المقدس » ! . .

ومن أعراض هذا المرض أن المصاب به ينسى بسرعة .

فكيف ينسى الملك خالد أن الرئيس القذافى كان يذيع ليلا ونهارا أغنية : افرح ياقلبى . بعد مقتل أخيه الملك فيصل ؟ . .

إن مايفعله الرئيس القذافى فى مجالات الدين والسياسة والإرهاب العالمى . والقهر القومى ليس إلا حيثيات جديدة لحكم قديم أطلقه الرئيس السادات عليه . وهو أن القذافى حالة مرضية . .

وعلى المشتغلين بالطب السياسى أن يدلونا على اسم هذا المرض . بعد أن توافرت لديهم كل أعراضه وبعد أن بلغت شروره جميع الدول العربية والإسلامية ! . .

فإن كان زعيما سياسيا . فنحن لانعرف اسم المذهب الذى يدعو إليه . . وإن كان زعيما سماويا فنحن لانعرف اسم هذا الدين الذى يبشر به . . هل هو آية الله القذافى ؟ . .

السعوديون يصفونه الآن بأنه آية الشيطان القذافى ! .

إذن فلقد عرفت السعودية من هو القذافى . وسوف تعرف أموراً أخرى كثيرة أشارت إليها مصر ونادت بها . ولكن السعودية وغيرها من الدول الشقيقة ستدرك ذلك متأخرة جدا — مع الأسف !

□

هذا هو الفرق بين الغرام والزوجية!

من ذكريات الفن والمرأة

التصوير

فى العشرينيات . وفى سنة ١٩٢٦ على ما أذكر . كان مجلسى بعد الظهر فى باريس على رصيف مقهى « داركور » . وقد احتل هذا المقهى اليوم وظهرت فى مكانه حوانيت أزياء . كان يقع هذا المقهى على ناصية شارع جانبى يؤدى إلى جامعة السوربون . وفى الجهة المقابلة له فندق « سيليكت » الذى كان ينزل فيه دائما شاعرنا « شوق بك » . . فإذا جاء العصر وخرج من الفندق لحق بنا فى مقهى « داركور » . . وأحيانا يحضر إلينا ناسبا ليس . النماغ » الذى اعتاده ، وهو رباط عنق صغير مجزء معدنى يدخل فى الياقة العريضة المنشاة . .

كان فى ذلك الوقت يعمل فى مسرحية « مصرع كليوباترا » . وقد علم أنى مؤلف المسرحيات التى كان قد حضر بعض « بروفاتها » بفرقة عكاشة وسمع أن مؤلفها تركها وسافر إلى باريس . . وتحادثنا . . وطلب منى أن أحضر له بعض ما كتب عن كليوباترا من مسرحيات فرنسية لمجرد الاطلاع . . وعاد إلى مصر بعد قليل .

وجلست وحدى فى ذلك المقهى . وإذا بغادة ذات قوام ذكرنى بتمثال الجميلة « افروديت » قد دخلت المقهى بصحبة شاب برنزى اللون جميل الطلعة كأنه « أبولون » . . فكدت أصعق لخيالها . فقد كان الفن فى ذلك العهد كل حياتى . ولا أفرق بين جمال التماثيل وجمال الآدميين . ولم يلبث أن ظهر صديق فرنسى لى من الفنانين . فصحت به قبل أن يجلس بجوارى :

– أسرع واطلب لى سكينا ! . .

فقال دهشا :

– سكينا ؟ ! تصنع به ماذا ؟ !

فقلت له :

– أقتل به نفسى عند أقدام هذه الجميلة حبا وجنونا ! . .

فالتفت ناحية الجميلة وقال لى :

– صدقت . . لك حق . . ولكنها كما ترى ذات رفيق وأى رفيق . . لا أمل لك أيها الصديق . . وإذا أصررت على السكين فإنى أنادى لك الجرسون يحضره لك . .

ولبثنا ساعة ننظر إليها ونتحسر . . ثم نهضنا وانصرفنا ، كل منا إلى شأنه . ومضت أيام قلائل وإذا بالصديق يبحث عنى ويبادرنى صائحا :

– أين أنت ؟ . . أين أنت أيها الرجل السعيد . افرح بسرعة فإن عندى لك خبرا سارا . .

وجعل يحكى لى ما حدث : وهو أنه مر بهذا المقهى فلمح هذه الغادة الجميلة جالسة وحدها . وقد أخفت وجهها فى منديلها وأخذت تبكى بكاء مرا . فجلس بجوارها ، وتحين فرصة وحادثها ولم يزل بها حتى اطأنت إليه وكشفت له عن بلائها : وهو أن صاحبها البرنزى اللون . وهو إسبانى . قد هرب إلى بلده وهجرها . . وهى الآن بغير مأوى ولا نقود ولا معين . . وقد كانت تعمل فى إحدى وكالات السفر والسياحة . فالتقت بهذا الشاب الأسبانى الوسيم فسلب لبها وأخرجها من عملها وختم قصته معها على هذا النحو . . وليس من السهل أن تجد سريعا عملا يقيها شر الجوع . . ولم يعد فى رأسها غير أفق حالك تبدو منه فكرة الانتحار . . فبادرها الصديق صائحا : « تموتين ؟ ! وعندى شخص يموت فيك حبا ؟ ! » وأخبرها بخبرى وضرب لها موعدا فى هذا المقهى ليقدمنى إليها . . .

وحسبته فى أول الأمر يمزح ، ولكن ما كادت تمضى ساعة حتى انصرت . لدهشتى . هذه الغادة الجميلة تدخل علينا . . غير انها كانت فى حال كسيرة . وقد أفسدت الدموع اهدابها . وأساها الحزن الالتفات إلى هندامها . ونهض الصديق لاستقبالها . ونهضت أنا أيضا كالخجل المأخوذ . .

وقال لها وهو يقدمنى إليها : « كنت تريدين الانتحار . فها هو ذا شىء أهون قليلا من الانتحار ! ! » فنظرت الجميلة إلى نظرة حزن واستسلام . وكأن كل شىء فيها ينطق : « ليس الآن أوان الفحص والاختيار » . . . وتركنا الصديق . وقد رأى أن مهمته قد انتهت . . ولبثنا وحدنا لحظة صامتين . لا أدرى ماذا أقول . . إلى أن سألتها آخر الأمر عن أمنيتها . فقالت إنها مودعة عند صديقة لها أضافتها الليالى السابقة . ولم يعد من اللائق أن تفرض ضيافتها على أسرة أكثر من ذلك . وكانت أسرة صديقتها تقطن ضواحى باريس . والوقت أمسى ليلا . فرأينا . ان ترجئ طلب الأمنية إلى الغد . وذهبت بالجميلة إلى مطعم رخيص للعشاء . فتعشينا وأنا أحاول إضحاكها والتسرية عنها . فانبعثت قليلا . وبدأت تتوطد بيننا الألفة . وأنزلتها ضيفة عندى . وأعرتها لوبا منزليا من لبانى تمضى به ليلتها . . وذهب الليل . وطلع النهار . وفتحت عينى وقد راحت السكرة وجاءت الفكرة . . ونظرت إلى تلك المرأة النائمة فى الحجرة وقلت لنفسى :

« ماذا أنا صانع بها ؟ » . اليوم الأحد وهو يوم زيارتى المعتادة لمتحف اللوفر . فالمتحف يوم الأحد بالمجان . ولكن المشكلة فى اصطحابها لمتحك فى مشاهدة التحف ودراستها طول اليوم . وهو أمر شاق لا تطيقه مثلها فيما يبدو . . وإذا تحملت فقد لا تسكت عن بعض التعليقات السخيفة التى تبدد جو تأملاتى وتهدد نظام تفكيرى . . ثم إنها ستغير برنامج حياتى . . إلى الآن حر آكل وأعمل وقتما أريد وحيثما أريد . . إلى أعيش حياة الفن غير المقيدة بمكان ولا بزمان ولا بإنسان . ولكنها منذ اليوم ستحبس حياتى هذه داخل إطار محدود من

صنع هذه المرأة . إنى لم أخلق لأسير فى الحياة وامرأة معلقة بذراعى ! . .

وبهضت من فراشى على عجل وارتديت ملابسى وكتبت كلمة تركتها لها فوق المكتب خلاصتها : « الى رجل يوهيبى من فصيلة أولئك الذين يسمونهم الفنانين الخايبل . لا أصلح لزعانيفك والسهر على راحتك . فأرجو اعفائى من تبعة اسعادك . فإنى لست لهذه التعمة بأهل » . . .

وألقيت عليها نظرة أخيرة وهى فى نومها العميق المطمئن . . وذهبت توا إلى الصديق إياه وأخبرته بما حدث فكاد يصعق . فهدأت من روعه وضاحكته قائلا : « لا تنس أنى رجل شرقى متوحش . والمرأة عندى يجب أن تحبس فى « الحريم » أو على الأقل لا يكون لها دخل كبير فى حياتى . إذا أرادت هذه المرأة أن تسكن الحجرة فلا مانع عندى . على شرط أن تتركنى حرا . فلا تخرج معى . ولا تتعرض بأن لها فى حياتى وجودا » . . .

فلهم الصديق مرادى وقال : « لا بأس . أظنها قد ترضى بهذا الشرط ولكن . نفقات طعامها ؟ . . » فقلت له : « فى مقدورى أن أعطيها كل يوم ثمانية فرنكات (أى ما يعادل فى ذلك الوقت ثمانية قروش مصرية) فقال الصديق : « لغدائها وعشائها معا ؟ ! . . قلت : « نعم » . فقال متوسلا بصوت يسأل الرحمة : « اجعلها عشرة فرنكات » ! . . قبلت . وبعهد هو بأن يلقاها ويعرض عليها هذا الوضع الجديد .

وانصرفت أنا إلى متحف اللوفر وغرقت طول يومى فى قاعة الفن الأغريقى متنقلا بين تماثيل « بالاس » و « أبولون » و « فينوس » . فى أوضاعها المختلفة وأنا أقول لنفسى : يالله من فن ! . . فن الاغريق هذا ! . . لكأنهم يقصدون تحميل الطبيعة إلى حد اشعارها بنقصها ! . . لكأنهم يريدون أن يقولوا لها : انظرى . . كان ينبغى أن تصنعى هذا الجمال ! .

وبركت فى الإغريق إلى فن مصر القديمة ولا يفصل بينهما غير باب صغير . ولكن يا له من فارق بينهما كبير . إن فن مصر القديمة لا شأن له بالطبيعة . لكأنهم يقولون للطبيعة انظرى ! اننا نستطيع من محيطنا وهكيزنا أن نخرج مخلوقات أخرى عجيبة لم تخطر لك على بال ! . جسم إنسان برأس جعران وجسم أسد برأس انسان . وهذه الكتلة المربعة من الصخر هى كاتب يكتب وهو يجلس القرفصاء . إن هذا الفن باستخدامه للكتلة وخطوطها البسيطة قد أصبح منبع إيحاء للفن الحديث فى العصر الحاضر . منذ المثال الشهير « رودان » . لقد شبعت أوروبا من استلهام الفن الاغريقى منذ عصر « الرينيسانس » ذلك الفن الذى ينطق الحجر جمالا . والتفتت إلى الفن المصرى الذى ينطق الحجر فكرا .

وربما لم يكن ذلك من قبيل المصادفة . فقد حدث هذا الاهتمام بالفن المصرى فى القرن التاسع عشر . قرن تألق التفكير بالفلسفة والعلم فى أوروبا . فكان الذى يناسبه هو الفن التابع من التفكير . وخرجت من اللوفر وأنا أقلب فى رأسى الملاحظات والمقارنات . وذهبت إلى مطعم صغير التاون عشائى . ثم عدت إلى مسكنى فوجدت الحميلة اسكينة قد غادرته تاركة فى هذه الكلمة فوق المكتب : « سيدى . انك لا تريدنى . وهذا هو كل ما فى الأمر . . .

فرأت هذه الكلمة وتألمت وندمت . لقد كان تصرفى حالا من الرقى والرحمة . ولمست افكر وانا أحيل النظر فى الحجرة الخالية . ان وجود هذه امرأة هنا ليس عبثا بالقدر الذى تصورته . انه كان كفيلا بالقضاء على كل حنين يعطرها الشمال . فتخيرت قليلا من هذا الخمر المعبر بتراب الكتب . ليتها تعود . ما أوحش الليل بدون امرأة !

وقضيت ليلة مضطربة .

وفى اليوم التالى ذهبت الى مقهى دار كير . وإذا بالصديق يدخل ومعه امرأة وكان قد قابلها وأطلعها على الشرط والنظام الجديد . فعاهدته على الثبات بتشدد . وهكذا استقر بنا الحال مرة أخرى اياما . وكان للحجرة مفتاحان استبقيت لنفسى واحدا واعطيتها الآخر . فإذا كان الصباح تركت لها فوق مكتبى الخمرنكات العشرة ثم انطلقت حرا طول يومى فلا أرى لها وجها الا ليلا . ولم تمض على نظامنا هذا عشرة أيام حتى نسيت هى مراعيه . وإذا هى تترك فى فوق مكتبى هذه الكلمة : ابك تتعب طويلا . لكأنك تتعمد الهرب من حجرتك ومن وجودى . أرجوك من كل قلبى أن تخبرنى عما لا يعجبك منى . قلها بصراحة . وأحب ان تكون على ثقة

من أن إخلاصى هو لك وباق لديك . . »

عجبت من هذه الكلمة لأن الإخلاص أو الحب أو أية عاطفة من هذه النوع لم تكن داخلة ضمن الشروط .

إن اللحظة الوحيدة التى أحببتها فيها حقا هى ساعة دخولها المقهى أول مرة . كانت رائعة . كانت شيئا فى السماء مثل كوكب يتلألأ . ولا يمكن أن تمتد إليه يدى . لكن هذا الكوكب ما ليث أن وقع فى كفى فإذا هو مصباح ضئيل . إن جوهر الحب مثل جوهر الوجود . لابد أن يكون فيه ذلك الذى يسمونه « المجهول » أو « المطلق » .

ان حمى الحب عندى هى نوع من حمى « المعرفة » واستكشاف المجهول والخوى وراء المطلق . ماذا يكون حال الوجود لو ان الله قذف فى وجوهنا نحن الآدميين بذلك المعرفة أو ذلك المطلق الذى نقضى حياتنا نحرى وراءه ؟ لو حدث ذلك لأصبحت الحياة خالية من كل حركة . ليس فيها ما نبحث عنه ونسعى خلفه . واختفى التفكير والحب والفن .

ان كلمة هذه المرأة التى تركتها فوق مكتبى تدل على أنها لم تفهم موقفى . فلم أتعمد الهرب منها كما أنى لم أكرهها ولم أحبها . انى تزاملها فى الحجرة وأصبحت العلاقة تشبه العلاقة الزوجية الخالية من أية عاطفة مشتعلة . لماذا يفتر الحب الملتهب بين العاشقين إذا تزوجا ؟ وقد يعود الحب إلى سابق اشتعاله اذا عادا كما سبق عاشقين . لكل منهما حياته المنفصلة . إن الانفصال هو الذى يغرى بالاتصال . وهنا الفرق بين « الغرام » و « الزوجية » . ولذلك كانت حيرة الفنان بين الفن والمرأة . وهو ما أردت التعبير عنه فى مسرحيتى « عجايبو » .

ومرت الأعوام وشاء القدر أن أعيش فى مصر وأتزوج . كما شاء أن يكون الفن هو دائما المسيطر المستأثر الذى لا يقبل الشرك . كما لو كان يعتقد حقا أنه قبس من نور الخالق الأعظم . وحدث نفس ما حدث . وعاش مع الزوجة والولد نفس المعيشة . وماتت الزوجة . ولم يشعر بحبها إلا بعد أن ماتت . وأصبحت بعيدة فى المجهول . ومات الولد شاعرا بالغربة عن أبيه الذى يقيم فى حجرته وبابها المغلق دائما عليه وعلى الفن . والآن . . وقد ذهب كل شىء . وبقى الرفيق الوحيد وهو الفن . ويكاد يشعر أن الفن أيضا يبتعد عنه الآن حقا . حتى الفن الذى كان يملأ وجدانه ويستغنى به عن الدنيا بأكملها . ولا يجد وهو بصحبته أنه فى حاجة إلى شىء أو إلى أحد . هذا الفن الذى ظن أنه سيبقى معه دائما . براه هو أيضا ينصرف عنه الآن . مشيرا إليه لاشارة وداع !

ماذا عساى أصنع الآن فى وحدتى ؟ ! .

توفيق الحكيم